مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (24) – العدد (01) (جوان، 2023) -ص 285- 298
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

التعليم التقليدي في الجامعة بين سندان الجائحة ومطرقة الالتزام المهني

Traditional Learning at the university between the pandemic anvil and the hammer of professional commitment

زهية عباز* ، (جامعة باتنة-1-)، zahia.abaz@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ القبول
2023-01-22	2023-06-11	2023-06-11

ملخص

ألقت جائحة كورونا بظلالها على كل القطاعات، ولم يسلم قطاع التعليم العالي من آثارها، وبخيار المواجهة للتخفيف من تداعيات الأزمة واصل أطراف الهيئة الأكاديمية بثالوثها (الإدارة، الطلبة، الأساتذة) مقاومتهم في ظل صعوبات وتحديات هامة رهنت معها المشهد التعليمي التقليدي. تهدف هذه الدراسة بمنهجها الوصفي التحليلي إلى تسليط الضوء على الصعوبات والتحديات التي واجهها التعليم التقليدي في الجامعة كأعلى قمة في الهرم الأكاديمي، من خلال التركيز في التحليل على إفرازات الجائحة وتأثيراتها السلبية خاصة التحديات التي واجهتها هيئة التدريس في تنفيذ الالتزامات المهنية. وخلصت الدراسة إلى أن المناخ التنظيمي الذي ساد أثناء الجائحة شكل ضغطا رهيبا، وأوجد تحديات بالجملة في تنفيذ الالتزامات المهنية للأستاذ الجامعي. كما بينت النتائج ضرورة الاستفادة من صدمة كورونا للوقوف على الفجوات التي يمكن أن تشوب التعليم التقليدي في الأزمات.

الكلمات المفتاحية: التعليم التقليدي؛ الالتزام المهني؛ أزمة كورونا.

Abstract

The Corona pandemic cast a shadow on all sectors, and the higher education sector was not spared from its effects, the parties of the academic body with its triad (administration, students, professors) continued to resist in light of important difficulties. This study aims, with its descriptive and analytical approach, to shed light on the difficulties faced by traditional education at the university by focusing the analysis on the results of the pandemic and its negative effect, especially the challenges faced by the teaching staff in the implementation of professional obligations. The study concluded that the organizational climate that prevailed during the pandemic formed terrible pressure, and created challenges in the implementation of the professional obligations of the university professor. The results also showed the need to take advantage of the trauma caused by Corona to identify the gaps that could mar traditional education in crises.

Keywords :traditional education; professional commitment; corona crisis.

* المؤلف المرسل

مقدّمة

شهد العالم أزمة لم تكن في الحسبان، اخترقت الحدود ومست بتداعياتها كل المجالات، ولم يكن أحد يتوقع أن ما توصل إليه الإنسان في هذا العصر من اكتشافات وابتكارات وتكنولوجيا ستقف عاجزة عن صد هذه الجائحة والتغلب عليها. لقد أفرزت أزمة كورونا واقعا جديدا ساد فيه التباعد الاجتماعي وارتداء الكمامة والبروتكول الصحي وكذا الترقب والحذر في ظل انبثاق أزمات صحية، اجتماعية، اقتصادية ونفسية وقف منها العالم بدوله المتقدمة والمتخلفة مذهولا، فلم يكن التعامل مع الأزمة في بدايتها سهلا، فقد أجبرت كل الدول على اتخاذ قرار الإغلاق العام وتقييد الحركة في كل المجالات، وبصفة الترقب والحذر حاولت التعايش مع الأزمة في غياب أي حلول آنية. وبعد أن ساد جو من الإحباط والفوضى بدأت الدول تبحث عن إستراتجيات للتعايش مع الأزمة والتخفيف من حدتها من خلال تبني حلول ظرفية، اعتمدت في بدايتها على ضمان الالتزام بالبرتوكولات الصحية ونشر الطمأنينة في نفوس الأفراد وتخفيف التوتر.

ومثل باقي القطاعات لم يسلم قطاع التعليم العالي من تأثيرات الجائحة، فمن التجميد المؤقت للعملية التعليمية إلى العودة التدريجية بخارطة طريق تتبنى نظام الدفعات أو التفويج للإبقاء على استمرارية التعليم التقليدي وتجنب كارثة تعلم يمكنها المساس بحق جيل كامل. لقد كان المشهد قاسيا بداية الأمر بانتفاء التفاعل المباشر بين طرفي العملية التعليمية لتكون المواجهة فيما بعد الخيار الأنسب لتجنب ما لا يحمد عقباه في ظل الترقب والحذر .

لقد كانت التحديات والصعوبات التي مست مشهد التعليم التقليدي في عز الأزمة مرحلة استثنائية لم تكن في الحسبان، حملت معها تأثيرات جمة أهمها التأثير على تنفيذ الالتزامات المهنية من قبل الأستاذ الجامعي، في ظل ضغوطات متزايدة ومناخ تنظيمي مضطرب.

وللإلمام بحيثيات الموضوع يجدر بنا طرح التساؤل الرئيسي التالي:

كيف يمكن وصف مشهد التعليم التقليدي في ظل إفرازات الجائحة والتحديات التي واجهت هيئة التدريس في تنفيذ الالتزامات المهنية؟

وللإجابة على هذا التساؤل الرئيسي تم صياغة الأسئلة الفرعية التالية:

- كيف كان مشهد التعليم التقليدي في ظل الأزمة؟
- أي بديل اختارته الهيئة الأكاديمية الجامعية للتعايش مع الأزمة؟
- أي منهج ملائم وخارطة طريق صمما لتسيير الأزمة ؟
- ماهي التحديات التي عرقلت تنفيذ الالتزامات المهنية ؟
- ماهي التحديات التي سيواجهها التعليم التقليدي بعد التعافي من الجائحة؟

- هيكل الدراسة

تم تقسيم الدراسة إلى ثلاث محاور هامة هي:

أولا: مشهد التعليم التقليدي في مهب الأزمة

ثانيا: الهيئة الأكاديمية الجامعية أمام خيار المواجهة

ثالثا: بين الجائحة والالتزام أي منهج ووصفة للتعليم التقليدي في الجامعة؟

رابعا: أي مشهد للتعليم التقليدي بعد التعافي من الجائحة؟

ـ أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة بمحاورها المختلفة إلى:

- تسليط الضوء على وضعية التعليم التقليدي في ظل جائحة كورونا؛
- رصد رد فعل الجهات الوصية والهيئة الأكاديمية حول إفرازات الجائحة ؛
- التطرق لأهم التحديات التي أفرزتها الجائحة أمام أهم طرف في العملية التعليمية (الأستاذ الجامعي) والتزاماته؛
- محاولة تحليل العوامل التي ساهمت في تقييض الالتزامات المهنية للأستاذ الجامعي؛
- إلقاء نظرة استشرافية على مشهد التعليم التقليدي والعملية التعليمية بصفة عامة بعد الجائحة.

ـ منهج الدراسة

تم الاعتماد في إعداد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وللإجابة على التساؤلات المطروحة أعلاه تبنينا أربع محاور رئيسية، خصص المحور الأول منها لوصف مشهد التعليم التقليدي في ظل الأزمة، بينما حاول المحور الثاني رصد رد فعل المجتمع الأكاديمي في ظل الأوقات العصيبة، وعالج المحوران الثالث والرابع على الترتيب محاولة تحليل العوامل التي ساهمت في تقييض الالتزامات المهنية للأستاذ الجامعي والتحديات التي ستواجه التعليم التقليدي بعد التعافي من الجائحة. وقمنا بتذييل الدراسة بجملة من الاستنتاجات والتوصيات.

ـ دراسات سابقة

- دراسة غنايم مهني محمد إبراهيم (أكتوبر2020م)، بعنوان "التعليم العربي وأزمة كورونا: سيناريوهات للمستقبل". وهو مقال نشر في المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية. المجلد 3، العدد. 4، ص ص. 75-104، تطرق فيه الى أزمة كورونا وتهديدها للتعليم والتي أجبرت البلدان العربية على الانتقال المفاجئ نحو التعليم عن بعد. ويرى الباحث أنه ورغم انتشار استخدام الإنترنت في المنطقة العربية، إلّا أن العديد من الدول لم تختبر سابقا التقنيات التي يتيحها التعليم الإلكتروني، ولا تزال التجارب العربية متواضعة جداً، ولا تتركز الناجحة منها جزئيا إلّا في بعض الدول النفطية الغنية (وبعض الدول الأخرى) بل لم تستطع دول عربية كثيرة حتى إدخال التعليم عن بعد في النظام الجامعي كلية، رغم أن جامعات عريقة عبر العالم اعتمدت المحاضرات الرقمية منذ أكثر من عقد من الزمن. وحيث أنه من الصعب التكهن بموعد انتهاء الأزمة عالمياً وعربياً، ومن منطلق أن مسيرة التعليم يجب ألا تتوقف أيا كانت المعوقات يرى الباحث أنه من الضروري البحث في آليات مواجهة الأزمة، لضمان استمرارية تقديم التعليم لأبناء الأمة العربية ومن ثم تهتم هذه الدراسة بالبحث في سيناريوهات مستقبل التعليم العربي لمواجهة الأزمة.
- دراسة منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (أكتوبر 2020م) بعنوان "الاستجابة لأزمة فيروس كورونا في دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا" الصفحة 32، حيث أشارت الدراسة في محورها

الخاص بالتعليم الى فقدان التعلم جراء غلق المؤسسات التعليمية نتيجة الأزمة والحاجة الى إعداد نظم تعليم والتعليم المدمج لاستعادة التعلم المفقود مع التأكيد على ضرورة دمج التكنولوجيا بشكل فعال في الممارسات والأساليب التعليمية.

- دراسة Fernando M. Reimers بعنوان "L'éducation et la Covid-19: La récupération de la crise provoquée par la pandémie et la reconstruction en mieux"، ويهدف المقال بعد استعراض تأثير كورونا على التعليم إلى اقتراح إطار عمل يدعم تطوير الاستراتيجيات التعليمية ذات الصلة بالسياق للتدريس أثناء الجائحة وبعدها، وإنشاء أنظمة مختلطة مرنة تدمج التدريس وجهًا لوجه والتعلم عن بعد وكذا بناء قدرات المدرسين.
- دراسة Arias Ortiz, Elena وآخرون (ماي 2020) بعنوان "L'éducation au temps du coronavirus: Les systèmes éducatifs d'Amérique Latine et des Cariabes face au COVID-19"، والتي تعد من منشورات بنك التنمية الأمريكي، وتعرض هذه الدراسة الإجراءات التي اتخذتها دول المنطقة فيما يتعلق باستمرارية تقديم الخدمة التعليمية أثناء إغلاق المدارس بسبب COVID-19. كما تقدم تحليلاً للظروف الأولية التي بنت عليها البلدان إجراءاتها من أجل الاستمرارية، فضلاً عن قدرة العائلات على الوصول إلى التعليم عن بعد. أخيرًا، يقدم سلسلة من خيارات السياسة والاستراتيجيات والإجراءات والتوصيات للاستجابة للأزمة. ويتم عرض إجراءات السياسة المقترحة في المجالات التالية: (1) استراتيجيات استمرارية التعليم؛ (2) استراتيجيات الاستجابة للإدارة الإدارية للمدارس؛ (3) ضمان الشروط الصحية لإعادة فتح المراكز التعليمية.

أولا: مشهد التعليم التقليدي في مهب الأزمة

هي أزمة فاجأت العالم وحملت معها ما لم يكن في الحسبان، ضرر اجتماعي، اقتصادي، صحي، نفسي... حتى سميت بالجائحة، لم تسلم منها لا الدول المتقدمة ولا الدول المتخلفة، وضربت عرض الحائط ما كان يروج عن الدول المتقدمة في تفوقها العلمي اللامحدود. وفي ظل الجائحة اهتزت جل القطاعات بما فيها قطاع التعليم لتعصف الأزمة بمشهد العملية التعليمية التقليدية بكل جوانبها وأساسياتها، وتضع هذا المجال رهن الاختبار. فبين بيانات الهيئات العالمية التي سارعت لرصد إفرازات الجائحة على التعليم بصفة عامة والتي وثقت في 28 مارس 2020م انقطاع أكثر من 1.6 مليار طفل وشاب عن التعليم في 161 بلداً، أي ما يقرب من 80% من الطلاب الملتحقين بالمدارس على مستوى العالم (خايمي، 2020) وإفرازات الجائحة التي مست مجال التعليم والتي لخصها تقرير البنك الدولي في مصطلح "صدمات التعليم" (البنك الدولي، 2020، صفحة 5) عايش أطراف الهيئة الأكاديمية بثالوثها (الإدارة، الطلبة، الأساتذة) الظروف الاستثنائية التي أصابت مشهد التعليم التقليدي في الجامعة، حيث توقف التعلّم لزمن محسوس من شدة الصدمة (اختيار حل التوقف لدى قطاع معتبر من جمهور الجامعة)، وتدهورت الحالة النفسية للطاقم التعليمي بفعل مشهد لم يكن في الحسبان. لقد جعلت الجائحة أطراف العملية التعليمية مكتوفي الأيدي في بادئ الأمر، وأفرزت تأثيرها السلبي على أطرافها الثلاث (الطالب، الأستاذ والمادة التعليمية) وغيَّرت وضعيتهم المعتادة.

ـ بالنسبة للطالب

إن المتعلم أي الطالب الذي كان يلتقي بأستاذه وجها لوجه يستمع ويناقش ويناظر في مكان معلوم وزمن معلوم ويتواصل بشكل مباشر، أضحى فجأة خارج أسوار الجامعة لمدة لا يستهان بها من الزمن مما أحدث فراغا رهيبا في المشهد التعليمي، وأثر سلبا على نفسيته في ظل الغموض الذي شاب مستقبله التعليمي وتوقف الاحتكاك المباشر بأساتذته وبزملائه، ليوضع بعد ذلك تحت طائلة البروتوكول الصحي داخل الحرم الجامعي بعد إقرار العودة للتعليم الحضوري، مع تسجيل غياب التوعية الصحية داخل المؤسسة الجامعية والاكتفاء بما هو متاح في الحياة العامة، وبتقييد الحركة المعتادة أثناء التنقل في الحرم الجامعي تم فرض إجراءات وقائية (ارتداء الكمامات، التباعد الجسدي، استعمال المعقمات) للتقليل من الإصابة بالوباء مع الإشارة إلى عدم التزام بعض الطلبة بهذه الإجراءات.

ومع تزايد حملات التوعية بضرورة تلقي الطلبة للتلقيح الخاص بكوفيد-19، وتنفيذ التعليمات الخاصة بتعقيم الحرم الجامعي تم تطبيق نظام الدفعات للإبقاء على مكانة التعليم الحضوري في النظام التعليمي، وتفادي الاكتظاظ في الجامعة للمحافظة على سلامة الطلبة. وبالنسبة للطلبة المصابون بالوباء فقد اتخذت إجراءات في صالحهم من خلال ضرورة تقديم الشهادات الطبية في موعدها للاستفادة من إعادة الامتحانات وضمان حقوقهم.

ـ بالنسبة للأستاذ

لقد فقد الأستاذ في بداية الأزمة وبين عشية وضحاها القدرة على التفاعل المباشر مع طلبته ووضع بين سندان الجائحة ومطرقة تنفيذ الالتزامات المهنية، ليخضع فيما بعد للبروتوكول الصحي والإجراءات الوقائية المعتمدة في الحرم الجامعي، ولضمان العودة الآمنة والسلامة في بيئة التعليم وجب على الأستاذ التكيف مع نظام الدفعات الذي أقرته وزارة التعليم العالي في ظل تقليص زمن المحاضرات للتعليم الحضوري المباشر، وزمن الامتحانات، وإلغاء حصص التطبيقات في بداية التعايش مع الأزمة لتفادي انتشار الوباء، لتشهد سنة 2022/2021م عودة الحصص التطبيقية والمحاضرات المباشرة للوحدات الرئيسية مع الإبقاء على التعليم الهجين (حضوري ورقمي بالنسبة للوحدات الثانوية والرئيسية) .

ـ بالنسبة للمادة التعليمية

شهدت المادة التعليمية التقليدية بمحتواها وأهدافها وطريقة ووسيلة تدريسها وكذا تقويمها منعرجا حاسما كاد يعصف بها ، فبعد توقف انسياب المادة التعليمية لفترة من الزمن في بداية الأزمة (مع غياب الفهرسة الإلكترونية للمكتبات الجامعية)، تم تفعيل آليات التعليم الرقمي فيما بعد كحل بديل لضمان عدم انقطاع العملية التعليمية مع العودة للحرم الجامعي بنظام الدفعات، وإلغاء حصص التطبيق في بداية الأمر وإعادتها لاحقا، ولقد ضمنت المحاضرات في إطار التعليم الحضوري الحد الأدنى من المحتوى التعليمي ليتم التعليم الإلكتروني ما تبقى في ظل خارطة طريق تتبنى التعليم الهجين كحل للأزمة.

إن الوضعية الصعبة التي عاشها التعليم التقليدي في عز الأزمة، والتي شلت قطاع التعليم العالي لفترة من الزمن فرضت على الهيئة الأكاديمية تحديات هامة استلزم معها البحث عن حلول للخروج من الأزمة، وإعادة تنشيط العملية التعليمية بخيارات بديلة، فالروتين التعليمي المعتاد عليه قبل الجائحة قد انهار وانهارت معه النفسيات، غير أن التخلي عن النمط التعليمي التقليدي في تلك الفترة لم يكن سهلا بالنسبة للجميع، بل كان التحدي قائما بالعودة من جديد للمشهد التقليدي من خلال مواءمته والتعليم الرقمي.

ثانيا: الهيئة الأكاديمية الجامعية أمام خيار المواجهة

لقد كان لزاما على القائمين على قطاع التعليم العالي مراجعة الاستراتيجيات المتبعة بحثا عما هو بديل للمحافظة على النظام التعليمي التقليدي، والتمسك بخيار المواجهة بتفعيل الآليات الممكنة لإبقاء التواصل بين أطراف الهيئة الأكاديمية في ظل الأوقات العصيبة، وضمان التكيف مع إفرازات الجائحة، وكذا تقديم الدعم اللازم للطلبة لتجاوز الأزمة. وقد أشار الدكتور كروجر إلى أن الدروس المستفادة من هذه التجارب سيكون لها تأثير دائم على التدريس وستساعد على تعزيز النظام التعليمي. (الأمم المتحدة، 2020)

ولمواجهة تداعيات الجائحة على التعليم الجامعي والاضطرابات التي مست العملية التربوية توجهت المؤسسات الجامعية على مستوى العالم لتعزيز المناهج القائمة على التكنولوجيا من خلال العمل بالتعليم عن بعد للإبقاء على العلاقة التفاعلية بين طرفي العملية التعليمية في غياب أي حلول آنية لاستمرار التعليم الحضوري أثناء تفشي الوباء وتزايد الإصابات. وإيمانا بالدور المحوري الذي يؤديه الأستاذ في ظل التعليم الحضوري تزايدت الرغبة في التغلب على الانفصال الزماني والمكاني بين طرفي العملية التعليمية في ظل الظروف الصحية الراهنة، وسمحت بإيجاد صيغة نظام الدفعات الذي أعاد للتعليم الحضوري مكانته في العملية التعليمية وساهم في تحقق بعض أهدافها.

لقد برهنت الأزمة أن خيار المواجهة يعد الحل الوحيد لاستمرارية التعليم في ظل الجائحة بإيجاد بدائل تسمح بممارسة العملية التعليمية التقليدية بأخف الأضرار. وكانت العودة للحرم الجامعي دليل على أن التعليم ليس فقط حقا أساسيا من حقوق الإنسان بل هو حق تمكيني له تأثير مباشر على تحقيق حقوق الإنسان الأخرى ومحرك رئيسي للتقدم. (الأمم المتحدة، 2020، صفحة 3) ولقد سمحت السياسات والإجراءات المتخذة من قبل الوزارة الوصية على مستوى الجامعات ووعي الهيئة الأكاديمية في تفعيل خيار المواجهة من خلال تطبيق التعليمات اللازمة، ولا يسعنا في هذا الإطار إلا أن نذكر بالتوصيات التي قدمتها الأمم المتحدة لمواجهة الجائحة واتخاذ اجراءات استعجالية لتجنب تحول أزمة التعلم إلى كارثة تمس جيلا بأكمله والمتمثلة في: (الأمم المتحدة، 2020، صفحة 3)

- كبح انتقال الفيروس والتخطيط المتأني لفتح أبواب المؤسسات التعليمية؛
- حماية تمويل التعليم والتنسيق من أجل التأثير؛
- بناء نظم تعليم قادرة على التكيف من أجل التنمية المنصفة والمستدامة؛
- إعادة تخيُّل التعليم وتعجيل التغيير في التدريس والتعلم.

واستنادا إلى مسح قامت به الهيآت الدولية المتمثلة في (اليونسكو واليونسيف والبنك الدولي) في شهري ماي وجوان2020م والذي شمل 116 بلدا، فقد أفاد عدد قليل عن رصد الاستخدام الفعلي للتعليم عن بعد، مما يبين الفجوة الرقمية بين الدول، ونقص البنية التحتية التكنولوجية، وعدم إمكانية الاعتماد فقط على التعليم الرقمي لحل الأزمة (unesco, 2020-2021) وعلى هذا الأساس تُعد العودة للتعليم الحضوري خيارا هاما للتغلب على صدمات الجائحة التي أصابت التعليم بمختلف قطاعاته.

وفي متابعتها لأثر الأزمة على التعليم العالي أخذت الأمم المتحدة على عاتقها إنشاء "سلسلة جائحة فيروس كورونا والتعليم العالي" تحت إشراف "الأمم المتحدة للأثر الأكاديمي" من خلال تواصلها مع الطلاب، الأساتذة والباحثين، في مختلف أنحاء العالم لمعرفة أثر كورونا المستجد عليهم، وكيفية تأقلمهم مع التغيرات التي طرأت على العالم، وتسلط السلسلة الضوء أيضاً على الدروس المستنبطة والنتائج الإيجابية المحتملة للحظر العالمي على التعليم العالي، حيث سمحت النقاشات المنعقدة تحت عنوان "التجاوب الأكاديمي مع كورونا: سَوياً في سبيل العلم، والتكاتف، وإيجاد الحلول" وذلك بمشاركة أكثر من 70 جامعة من دول عدة منها أمريكا اللاتينية، وفرنسا، وإسبانيا، واليابان بتوضيح أهمية تكاثف الجهود لإيجاد حلول لمواجهة الجائحة، وكذا أهمية التعاون الأكاديمي والمساعدة متعددة الأطراف في سبيل تخطي الصعاب التي فرضتها جائحة كورونا، والمساهمة في إيجاد الفائدة للجميع، مع اقتراح ضرورة تلقي الجامعات الدعم التكنولوجي، والمادي، والمعنوي للطلاب والهيئة التعليمية، والإشارة إلى إمكانية الاستفادة من الأزمة الحالية لبناء الجامعات على أسس الجودة والمساواة ، مع تسجيل مخاوف بخصوص الفجوة الرقمية، والتي تتضمن مصاعب الوصول للإنترنت، والنقص في المعلومات، مما يشكل تحدياً لملايين الطلاب. (الأمم المتحدة، 2020)

ثالثا: بين الجائحة والالتزام، أي منهج ووصفة للتعليم التقليدي في الجامعة؟

بين إفرازات الجائحة وتداعياتها السلبية على مشهد التعليم التقليدي في الجامعة والضغوطات التي أثقلت كاهل الهيئة الأكاديمية ووضعت التزامها المهني على المحك، يبقى خيار المواجهة والتكيف مع الظروف الراهنة الحل الأمثل لتجاوز الجائحة، فأي منهج ملائم وخارطة طريق صمما لتسيير الأزمة؟ وماهي التحديات التي واجهت هيئة التدريس في تنفيذ الالتزامات المهنية؟

ـ البروتوكول البيداغوجي للوزارة لتسيير المواسم الجامعية في ظل الجائحة

اعتمدت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بروتوكولا صحيا لتسيير المواسم الجامعية للسنوات (نهاية السنة الجامعية 2020/2019م، السنة الجامعية **2021/2020** و**2021 /2022**) في ظل وباء كورونا، واتخذت من النظام الهجين "حضوري وعن بعد" على دفعات خارطة طريق لمواجهة الأزمة طبعا مع تعديلات كل موسم، ومنح صلاحيات لمديري المؤسسات الجامعية لاختيار السيناريو المناسب لإعداد بروتوكول بيداغوجي خاص وفقا لخصوصية كل مؤسسة، ومراعاة التوصيات والمبادئ العامة المنبثقة عن توصيات مختلف المتدخلين في الندوات الجهوية للجامعات واللجان البيداغوجية، والمعلومات الواردة في الميدان عن الوضعية الصحية وتطوراتها، مع تخصيص حجم معتبر للتعليم

الحضوري ولاسيما للطلبة الجدد في السنة الأولى، والتخلي عن التدريس يوم السبت إلا في حال تحسن الوضعية الصحية. (ثلجي، 2021)

كما شددت الوزارة على ضرورة مراعاة الحيطة الصحية في كل نشاط مبرمج، مع تخصيص حجم ساعي معتبر حضوريا على أن تعطى الأولوية لطلبة السنة الأولى، وضمان التعليم الحضوري بالنسبة للوحدات الأساسية والمنهجية، فيما يتم ضمان الوحدات الأفقية والاستكشافية وفقا لنمط التعليم عن بعد، مع الحرص على تقليص مدة غياب الطالب قدر الإمكان، أي لا تزيد عن مدة 15 يوما، وهذا حتى لا يؤثر على مردوده البيداغوجي. (ثلجي، 2021)

- نظام الدفعات كوصفة للإبقاء على التعليم التقليدي

باعتماد نظام التفويج (التعليم الحضوري وفقا لنظام الدفعات) تم تقسيم الطلبة على دفعات لتسهيل تنفيذ البروتوكول الصحي في الحرم الجامعي، مع الحرص على جدولة الحصص الحضورية لتنسجم مع باقي الحصص عن بعد فيما تجرى امتحانات وحدات التعليم الأساسية حضوريا، وامتحانات الوحدات الأفقية والاستكشافية عن بعد. ويعد التركيز على عودة النظام التعليمي التقليدي بالتدريج وصفة للتحول من مرحلة الاضطراب الى مرحلة التعافي من آثار الجائحة.

- الالتزام المهني للأستاذ الجامعي في محك الأزمة

يعرف الالتزام حسب ويلينس وكونسلمان بأنه: "تلك القوة المثالية التي تدفع الموظف للقيام بعمله بأعلى مستوى من الأداء" (مزيان، 2015-2016، صفحة 14) ويعتبر الالتزام مظهرا من مظاهر السلوك الإنساني المعقد، وجزء من منظومة عمليات إدارية تحدد احترام الفرد لأنظمة العمل والالتزام بأخلاقيات المهنة وقواعدها، والتفاعل مع جماعة العمل بالعدالة والإنسانية، والالتزام المهني (commitment professional) من الأسس الهامة التي تعتمد عليها أية مؤسسة لتحقيق أهدافها، ولكون الالتزام المهني يتأثر بعوامل شخصية وتنظيمية فإن توفرها بالشكل السليم يجعل الالتزام المهني متينا وإيجابيا في حين أن تدني الالتزام له عواقبه الوخيمة. (عابدين، 2010، الصفحات 204-206)

وفي ظل جائحة كورونا ازدادت التحديات والضغوطات على الهيئة الأكاديمية، ووضع الالتزام المهني للأستاذ الجامعي على المحك، فالتوتر الذي شاب العملية التربوية والذي تمثل في تقليص الحجم الساعي للتعليم الحضوري، والذي أثر على محتوى المادة التعليمية (الاكتفاء بـ1سا فقط للحصة بعدما كانت 1ساونصف) وإلغاء الحصص التطبيقية في بداية الأزمة، وما صاحبها من تعليمات بعدم احتساب الغيابات وعدم إجبارية الحضور للطلبة، وكذا إدخال التعليم عن بعد في النظام التعليمي، وما صاحبه من دورات تكوينية للأساتذة بشكل مكثف وفي ظروف قياسية، إضافة إلى إصابة بعض الأساتذة بالوباء ما أثقل كاهل الآخرين بزيادة الحجم الساعي، كلها عوامل شكلت مع الجائحة ما يشبه المطرقة والسندان ورهنت الالتزام المهني نتيجة:

- كثرة الغيابات والتغيب لدى الطلبة وبعض الأساتذة؛
- التوتر الزائد من احتمال الإصابة بالوباء؛
- تدني التحصيل لدى الطلبة؛

- ضعف نتائج الطلبة؛
- تدني الشعور بالإنجاز لدى الأستاذ؛
- عدم اتمام البرنامج؛
- تقليص محتوى المادة التعليمية المدرسة؛
- انخفاض مستوى الانضباط لدى الطلبة؛
- تقليص مدة الامتحانات وبالتالي تأثيرها على تركيبة الامتحان؛
- صعوبة التقييم والامتحانات في ظل الظروف الصحية؛
- تكثيف الدورات للأساتذة لتمكينهم من استعمال التكنولوجيا في التعليم عن بعد؛
- الكسل والخمول الذي أصاب الطلبة؛
- القرارات والتعليمات المتعددة من الوزارة الوصية.

لقد ساهمت العوامل مجتمعة في تقييض الالتزام المهني للأستاذ الجامعي الذي مس بالدرجة الأولى التزامه تجاه الطلبة في عملية التقييم، والتي كانت تحدد في السابق من خلال معايير واضحة وبناءة أساسها إجبارية حضور الحصص التطبيقية وإنجاز البحوث وعرضها، والمشاركة والتفاعل في الحصة، والتي أضحت بفعل كورونا معايير صعبة التطبيق، بل وأجبر الأستاذ على التخلي عن بعضها لدعم الطالب في ظل الأزمة، فصعوبة التقييم والامتحانات، والاتجاه أحيانا لاستخدام المشروعات البحثية كوسيلة لتقييم الطلبة عن بعد، كنتيجة لعدم القدرة على إجراء الامتحانات التقليدية بسبب ظروف الجائحة أظهر فى الواقع صعوبة وضع ضوابط صارمة لضمان أن يتم ذلك بطريقة صحيحة، ومعه صعوبة التأكد أن من أدى تلك الامتحانات هو الطالب نفسه وليس أي شخص آخر، أي وجود مخالفات سلوكية ترهن مصداقية الامتحانات، وبدرجة ثانية الالتزام بإتمام البرنامج الدراسي والذي فقد في عز الأزمة الكثير من الضوابط بالاقتصار على تلخيص المحتوى بعد إدماج المحاضرة والتطبيق معا، واللجوء للتعليم عن بعد لتغطية الباقي في ظل ضعف تمكن بعض الأساتذة من التقنيات الحديثة للتعليم عن بعد، بل شكلت الدورات المكثفة لتكوين الأساتذة في هذا المجال ضغطا رهيبا مع عزوف البعض عن التفاعل معها .

وبدرجة ثالثة مستوى الانضباط لدى الطلبة الذي تدنى بفعل الجائحة والذي عزز صعوبة تنفيذ الالتزامات المهنية للأستاذ تجاه محور العملية التربوية، فأغلبية الطلبة لم يظهروا تجاوبا مع النهج الجديد للتدريس من خلال كثرة الغيابات والتغيب المتعمد في ظل عدم إجبارية الحضور، وكذا عدم التزامهم بالبروتوكول الصحي في كثير من الأحيان، وكذا عدم إلمامهم بالتقنيات الحديثة للتعليم عن بعد مما صعب عملية التقييم وضبط النتائج، ولقد أظهرت النتائج الضعيفة في الامتحانات ضعف التحصيل العلمي في فترة الجائحة رغم الجهود المبذولة، مما يفسر انخفاض مستوى الالتزام المهني الذي انعكس سلبا على تحقق أهداف العملية التربوية.

إن المناخ التنظيمي الذي ساد فترة الجائحة شكل ضغطا رهيبا، وأوجد تحديات بالجملة في تنفيذ الالتزامات المهنية للأستاذ الجامعي، فالمقاييس والمعايير المعتادة التي كان يعمل بها في تنفيذ الالتزامات المهنية وضعت رهن الاختبار في ظل الجائحة، وأضحى البحث عن البدائل لتنفيذها

رهين المهارات والاستعداد النفسي والشخصي، وهو ما جعل التفاوت بين الهيئة الأكاديمية في مختلف الجامعات سيد الموقف .

رابعا: أي مشهد للتعليم التقليدي بعد التعافي من الجائحة؟

لقد زعزعت الأزمة بآثارها هيكل التعليم التقليدي ووضعت أطراف العملية التعليمية أمام تحديات هامة حملتها على تغيير نظرتها للممارسات التعليمية، والتحول بالمنظومة التقليدية نحو التغيير والتطوير من خلال إرساء دعائم نظام هجين يقر بدور التكنولوجيا في التغلب على الأزمات، وأهمية الرقمنة في الإبقاء على حق التعلم والتعليم. وفي ظل تغير ملامح التعليم التقليدي الذي سيطر لسنوات، وحتمية تدعيمه بالتعليم الإلكتروني تبرز للواجهة تحديات هامة أمام الهيئة الأكاديمية والتي يمكن رصدها فيما يلي: (المصري، 2020)

- حتمية التغير والتطور؛
- إعادة تعريف دور المعلم والمحاضر؛
- تطوير الإدارات التعليمية؛
- تحديث وإعادة صياغة المناهج الدراسية الجامعية.

لقد سمحت الجائحة بإيجاد خيارات هامة لتجاوز أزمة التعليم والإبقاء على التواصل بين أطراف العملية التعليمية بالرغم من محدودية الممارسات التعليمية التقليدية في مواجهة الأزمة، ومما لا شك فيه أن النظام التعليمي الهجين شكَّل تحولا هاما في المنظومة التعليمية بالرغم من الفجوات التي لازالت تشوبه، وأثبتت الأزمة أن المهارات والاستعداد الشخصي هي عماد التكيف مع الأزمات ومواجهة تداعياتها على تنفيذ الالتزامات المهنية المطلوبة والمحافظة على إيجابياتها .

إن التعليم التقليدي لم يعد قادرا على الوفاء بمتطلبات منظومة التعليم، وأضحى البحث عن صيغ جديدة للتعلم بمرافقة التطور التكنولوجي الهائل أحد الحلول لتحقيق واقع جديد مع إعادة التفكير في منظومة التعليم من حيث فلسفته وأهدافه ومناهجه ووسائله، ودراسة كل السيناريوهات المستقبلية والمتوقعة في مرحلة التعايش مع الجائحة وما بعدها، ويبدو أن التعليم الهجين وضع معالم نظام شامل للتعامل طويل الأجل مع الجائحة من خلال الاستفادة من التطورات التكنولوجية وثورة المعلومات. إن المواءمة بين التعليم التقليدي والإلكتروني في هذه الفترة سمح باكتشاف فجوات وتحديات هامة في كلا النوعين والتي يمكن اختصارها فيما يلي: (مرعي، 2020)

- محدودية التعليم التقليدي في تجاوز الأزمة بعد سيطرة تاريخية هامة؛
- أثبت التعليم الإلكتروني هشاشة البنية الرقمية وضعف مستوى التفاعلية، بسبب الافتقار للنواحي الواقعية واللمسة الإنسانية بين الأستاذ والطالب التي كانت في التعليم التقليدي والتي من الصعب إيصالها عبر الوسائط النصية الفورية؛
- العزلة الاجتماعية بسبب ضعف التزام الطلبة بمتابعة برامج التعليم عن بعد، والابتعاد عن المدرسة التي كانت من قبل متنفسا مهما للتعرف على الأقران في ظل التعليم التقليدي؛
- جمود نظم التعليم، إذ يعتبر الهيكل التنظيمي للمؤسسات التعليمية في الدول النامية من أكبر التحديات التي تحول دون تغيير طرق التعليم، حيث تعاني من التركيز على الشهادات

أكثر من المهارات، بجانب مشكلة التلقين، إلى جانب غياب التشريعات الداعمة للتعليم الإلكتروني؛

- صعوبة التقييم والامتحانات في التعليم الإلكتروني بسبب مخالفات سلوكية؛
- نقص الوعي والتصور المتكامل عن التعليم عن بعد لدى كل أطراف العملية التعليمية؛
- عدم المساواة وغياب تكافؤ الفرص في هذا النمط من التعليم إلى زيادة عدم المساواة بين الطلاب في ظل تباين واقع انتشار وسرعة شبكة الانترنت في كل دولة، إضافة إلى امتلاك حواسب شخصية من عدمه، وهو ما أدى إلى زيادة حدة الفجوة الرقمية وانعدام المساواة في إمكانات الاتصال بالإنترنت وتداعيات ذلك على جودة التعليم عن بعد.

بالرغم من أن كل المؤشرات توحي بتحول مستقبلي رهيب في العملية التعليمية وإمكانية تلاشي التعليم التقليدي بالتدريج في ظل الثورة الرقمية، إلا أن الإقرار بهذا التحول وإمكانية أن يسود مستقبلا مرتبط بمدى الاستعداد للاستثمار في تكنولوجيا التعليم وتحديث البنية الرقمية وتنمية مهارات أطراف العملية التعليمية وكذا مواجهة التحديات السابقة الذكر.

فالعودة إلى نظام التعليم التقليدي بالكامل حسب الباحثين يعني الخروج من نظام تعليم عالمي، وهو ما أكدته "منظمة الصحة العالمية" التي أشارت إلى احتمالية ظهور أوبئة جديدة في المستقبل، مما يتطلب الاستعداد الكامل من المؤسسات التعليمية لمواجهة أية ظواهر وبائية قد تحدث في المستقبل بعد انتهاء جائحة "كوفيد-19"، وستسهم هذه الجاهزية في الحد من المخاطر التي يمكن أن تواجهها المؤسسات التعليمية في ظل استمرار هذه الجائحة أو ظهور جوائح غيرها. (الرفاعي، 2020)

ولضمان استمرارية العملية التعليمية في غضون الأزمات المستقبلية. سيحتاج التعليم في عصره الجديد إلى مراجعة لطرق الاختبار والتقييم، والاستعداد للواقع الجديد والتي هي التزامات مهنية ضرورية، وعلى المؤسسات التعليمية التي ترغب بأن تكون جزءاً من المستقبل عليها الاستعداد لما يلي: (الرفاعي، 2020)

- تأهيل وتدريب الكادر الإداري والتعليمي لما يناسب هذه المرحلة؛
- تعديل المناهج وإكسابها المرونة للتعديل السريع المتوافق مع التكنولوجيا وتسارع تطورها؛
- الاعتماد أكثر على منهج البحوث العلمية والمشاريع العملية لتقييم الطلبة، وقبل ذلك، لتأمين الكادر التعليمي الذي يستطيع القيام بهذه المهام العملية التي تربط الجامعات بالمجتمع؛
- التواصل مع الجهات التشريعية التي تنظم عملية التعليم لتأمين مناخ تنظيمي يناسب هذه النقلة النوعية.

لقد بينت جائحة كورونا أن تنمية مخزون المهارات الشخصية والوظيفية والأكاديمية لأطراف العملية التعليمية يعد حجر الزاوية في تحقيق أفضل المخرجات والاستفادة قدر الإمكان من الظروف حتى ولو كانت سيئة، ويبقى تكاثف الجهود محور أساسي لتجاوز الأزمة والصعوبات ورفع التحدي لضمان نقلة نوعية في التعليم العالي.

خاتمة ونتائج الدراسة

لقد تأثر قطاع التعليم العالي بالجائحة كغيره من القطاعات، وفُقد التعليم التقليدي في عز الأزمة في مشهد أنذر عن أزمة غير مسبوقة، ومع حتمية المواجهة التي أضحت الخيار الوحيد لتجاوز الأزمة تغيرت ملامح التعليم التقليدي ليعود تدريجيا التواصل المباشر بين أطراف العملية التعليمية في صيغة نظام الدفعات مع المواءمة والتعليم الإلكتروني. وقد شكل المناخ التنظيمي الذي ساد فترة الجائحة ضغطا رهيبا، وأوجد تحديات بالجملة في تنفيذ الالتزامات المهنية للأستاذ الجامعي الذي وجد نفسه بين سندان الجائحة ومطرقة الالتزامات المهنية، وقد اعتبرت العودة إلى نظام التعليم التقليدي بالكامل حسب الباحثين خروج من نظام تعليم عالمي في ظل التنبؤ بوجود أزمات في المستقبل. وبناءً على ما سبق نستنتج ما يلي:

- أن الأزمة عصفت بمشهد العملية التعليمية التقليدية بكل جوانبها وأساسياتها ووضعتها رهن الاختبار؛
- أن التخلي عن النمط التعليمي التقليدي في تلك الفترة لم يكن سهلا بالنسبة للجميع، بل كان التحدي قائما بالعودة من جديد للمشهد التقليدي من خلال مواءمته والتعليم الرقمي؛
- أن المحاضرات في إطار التعليم الحضوري في ظل نظام الدفعات ضمنت الحد الأدنى من المحتوى التعليمي ليتم التعليم الإلكتروني ما تبقى في ظل خارطة طريق تتبنى التعليم الهجين كحل للأزمة؛
- إيمانا بالدور المحوري الذي يؤديه الأستاذ في ظل التعليم الحضوري تزايدت الرغبة في التغلب على الانفصال الزماني والمكاني بين طرفي العملية التعليمية في ظل الظروف الصحية الراهنة وسمحت بإيجاد صيغة نظام الدفعات الذي أعاد للتعليم الحضوري مكانته في العملية التعليمية وساهم في تحقق بعض أهدافها؛
- كثرة التحديات والضغوطات على الهيئة الأكاديمية، ووضع الالتزام المهني للأستاذ الجامعي على المحك نتيجة التوتر الذي شاب العملية التربوية جراء الأزمة؛
- أن المناخ التنظيمي الذي ساد فترة الجائحة شكل ضغطا رهيبا وأوجد تحديات بالجملة في تنفيذ الالتزامات المهنية للأستاذ الجامعي، فالمقاييس والمعايير المعتادة التي كان يعمل بها في تنفيذ الالتزامات المهنية وضعت رهن الاختبار في ظل الجائحة، وأضحى البحث عن البدائل لتنفيذها رهين المهارات والاستعداد النفسي والشخصي؛
- كل المؤشرات توحي بتحول مستقبلي رهيب في العملية التعليمية وإمكانية تلاشي التعليم التقليدي بالتدريج في ظل الثورة الرقمية.

ومن خلال ما سبق يمكن تقديم التوصيات التالية:

- ضرورة الاستفادة من صدمة كورونا للوقوف على الفجوات والثغرات التي يمكن أن تشوب التعليم التقليدي في الأزمات ووضع استراتيجيات تعليمية كفيلة بضمان حق التعلم للجميع؛
- تعزيز التعليم المقلوب الذي يعتمد على حصول الطالب على الدرس من خلال فيديو تعليمي أو مقال أو ملفات تعليمية يرسلها الأستاذ باعتماد التعليم الإلكتروني. ثم يستخدم التعليم التقليدي ليطبق ما تلقاه من معلومات، وبالتالي تحل مشكلة الضغط الخاص بتنفيذ البرنامج والتركيز على التفاعل الإيجابي والمناقشة وتسهيل عملية التقييم.
- تعديل المناهج للتكيف مع إفرازات الجائحة والبحث عن ميكانيزمات لترسيخ مصداقية الامتحانات؛
- تدعيم نظام التعليم الهجين في ظل سيطرة التكنولوجيا على حياة الطلبة واستغلال التقنيات الحديثة في تخفيف الضغوطات على أطراف العملية التعليمية والتغلب على العيوب التي شابت التعليم التقليدي والإلكتروني؛
- توفير المناخ التنظيمي المرن والمناسب لتنفيذ الالتزامات المهنية؛
- اهمية تقبل حقيقة التغيير في ملامح التعليم التقليدي وتشجيع أطراف العملية التعليمية على الانخراط فيه لضمان تحقق الاهداف وتنفيذ الالتزامات؛
- عدم تهويل الأمور وتكثيف الضغوطات بقرارات إدارية عشوائية غير مدروسة تزيد من توتر محوري العملية التعليمية وتصعب من تنفيذ الالتزامات المهنية؛
- تشجيع المبادرات والأفكار التي تعزز طرق تنفيذ التزامات الأستاذ الجامعي والابتعاد عن القرارات الانفرادية التي تزيد من تدهور العملية التعليمية؛
- التدريب على التخطيط من أجل تفادي الوقوع في مشاكل مستقبلية نتيجة الأزمات الطارئة؛
- وضع منظومة وقائية تعتمد على الابتكار وتدريب أطراف العملية التعليمية لمواجهة مختلف الأزمات؛
- إبراز الإنجازات المرحلية لرفع المعنويات ودعم روح الإيجابية في فترة الأزمة والاستمرار في التوعية والتحذير لتفادي الخطورة والنكسات.

قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1. الأمم المتحدة. (2020). كوفيد-19 والتعليم العالي: التعليم والعلوم لقاح للجائحة. تاريخ الاسترداد 24 5، 2022، من https://www.un.org/ar/121944
2. الأمم المتحدة. (2020). كوفيد-19 والتعليم العالي: مقابلة مع د. مايكل كروجر. تاريخ الاسترداد 11 4، 2022، من https://www.un.org/ar/115986
3. الأمم المتحدة. (2020). موجز سياساتي:التعليم أثناء جائحة كوفيد19 - وما بعدها. تاريخ الاسترداد 15 4، 2022، من https://www.un.org/ar/115986
4. الأمم المتحدة. (2020). موجز سياساتي:التعليم أثناء جائحة كوفيد19 - وما بعدها. تاريخ الاسترداد 12 5، 2022، من https://www.un.org/ar/115986
5. ايمان مرعي. (12 12، 2020). التعليم في ظل جائحة كورونا: الإشكاليات والآفاق المستقبلية. تاريخ الاسترداد 9 4، 2022، من https://acpss.ahram.org.eg/News/17004.aspx
6. البنك الدولي. (2020). جائحة كورونا:صدمات التعليم واالاستجابةعلى صعيد السياسات. تاريخ الاسترداد 9 4، 2022، من https://thedocs.worldbank.org/en/doc/179051590756901535-0090022020/original/Covid19EducationSummaryarab.pdf
7. سافيدرا خايمي. (2020). التعليم في زمن فيروس كورونا: التحديات والفرص. تاريخ الاسترداد 30 03، 2022، من سافيدرا خايمي، التعليم في زمن فيروس كورونا: التحديات والفرص، 2020/03/30. متاح على الموقع: https://blogs.worldbank.org/ar/education/educational-challenges-and-opportunities-covid-19-pandemic
8. غالب الرفاعي. (19 11، 2020). وداعاً لنظام التعليم التقليدي وأهلاً بعصر التعليم الجديد. تاريخ الاسترداد 9 4، 2022، من https://aau.ac.ae/ar/blog/goodbye-to-the-traditional-education-system-and-welcome-to-the-new-education-
9. لمياء مزيان. (2015-2016). تقنين مقياس الالتزام في العمل على عينة من أساتذة الجامعة الجزائرية. تاريخ الاسترداد 8 4، 2022، من http://www.univ-oran2.dz/
10. محمد عابدين. (2010). "درجةُ الالتزام المهني لدى مدِيري المدارس الثانويةِ الحكوميةِالفلسطينيةِ ومعلّميها من وجهاتِ نظر المعلّمين والمديرين". المجلة الأردنية في العلوم التربوية، الصفحات 204-206. تاريخ الاسترداد 7 4، 2020
11. منى المصري. (3 5، 2020). 5تحولات سيواجهها التعليم التقليدي بعد انتهاء جائحة كورونا. تاريخ الاسترداد 9 4، 2022، من https://www.aljazeera.net/
12. الهام ثلجي. (25 08، 2021). الإفراج عن رزنامة انطلاق الدروس هذه سيناريوهات الموسم الجامعي الجديد. تاريخ الاسترداد 6 4، 2022، من https://www.echoroukonline.com

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

13. unesco. (2020-2021). Retrieved 4 18, 2022, from https://tcgtest.uis.unesco.org/survey-education-covid-school-closures/